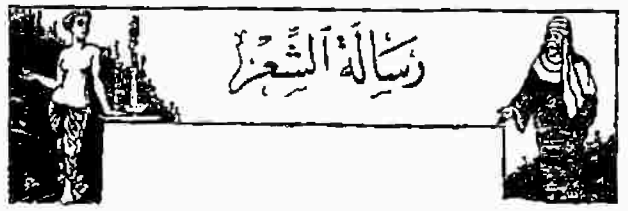

رجال ونساء

للأستاذ على محمود طه

[الشاعر المهندس الأستاذ « على محمود طه » ملحمة شعرية تقع فى نحو أربعمائة بيت من الشعر لم تنشر بعد . عنوانها « البعث الأول » يدور الحوار فيها بين شاعر وملك وأرواح حوريات فى انتظار البعث . أما موضوع الحوار فهو الفن وأثره فى العلاقة بين الرجل والمرأة ، وما أثر الغريزة فيه ، وكيف تلهم الأرواح قبل حلولها فى أطيافها الميل إلى الشر أو الخير . وننشر فيما يلى هذا الحديث الذى يسوقه الشاعر على لسان الأرواح] .

بلبيس :

هو الحسنُ فنّانُنا العبقريُّ ... هو الحبُّ سلطانُنا القاهرُ
ممثلهم لُعْبَـــةٌ فى يديهِ ... ومثّالهم إصْـــبَعٌ فاجرُ
وألحانهم من فحيحِ العروق ... يُرَجِّعها الوترُ الســـاخرُ
ورسّامُهم صَـــنَمٌ مُبْصِرٌ ... فإنْ جُمِعوا فهمُ الشاعرُ

• • •

قلوبٌ مُدَلَّهَةٌ بالجمال ... ترى فيه معبودَها المُلْهِما
هو الرجلُ القلبُ ، لا غيره ... فأَوْدعْتَهُ القَبَسَ المضرما
أَنِمْنَ به الشَّرسَ المستخفَّ ... وأيقظنَ فيـه الفتى المغرما
إذا ما اقتحمتنَّ هذا السياجَ ... فقد خضع الكونُ واستسلما

سافو :

ولكنْ حَذَارِ فنى طبعنا ... لِيانٌ يسمُّونه بالوداعه
وفيهم جـــراءةُ مستأسدٍ ... تحدَّى المنيةَ باسمِ الشجاعه

بلبيس :

وَهِمْتِ فذاكَ هَزْلُ الرجال ... وفَنٌّ أجزنا عليهم خداعه
نُذيب به صُلْبَ أعصابهم ... وفى رِقّةِ العود سرُّ المناعه

بلبيس :

أعاجيبُ شَـتَّى لهذا الفتى ... وأعجبُ منها الذى تذكرينْ
كأنَّ أحاديثَه بيننا ... أساطيرُ آلهـــةٍ غابرينْ
إذا كان للشعر هذا الصيالُ ... فوارحمتا للجمال الغبينْ !
وَدِدْتُ لو أنىَ فى إثره ... درجتُ على الأرض فى الدارجينْ

سافو :

أتغوين بالشعر شيطانَه ؟ ... خياليةٌ أنتِ أم شاعره !

بلبيس :

بل الشعرُ آسرُهُ المستبدُّ ... فيا ليتَ لى روحَه الآسره
ويا ليتَ لى وثباتِ الخيالِ ... وقوةَ أربابِه القـــاهره
لصيَّرتُهُ مِثْـلَةً فى الحياةِ ... وسُخرية البعثِ فى الآخره

نابيس :

صفى لى بِلِيليسُ هذا الأملْ ... وماذا ابتدعتِ له من حِيَلْ ؟

بلبيس :

أُدَلِّهُ هـــذا الفتى بالجمالِ ... وأُسْمِعُه من رقيق الغزلْ

وأورثه جُنَّةً بالرحيقِ وأحرِمُه رَشَفاتِ القُبَلْ
إلى أنْ تُحرِّقَ أعصابُه ويصرَعه طائفٌ من خَبَلْ

* * *

وأحفرُ بعد الردى قبرَه هناك على قِمَّةِ الهاويه
وأغرس فى قلبهِ زهرةً من الشرِّ ريَّانةً ناديه
سَتَنْهلُ سمومُ شرايينه ورفَّتْ بها روحُه العاتيه
تُخفُّ إليها قلوبُ الرجال وترجع بالشوكةِ الداميه

* * *

إذا جَنَّها الليلُ لاحتْ به كعينٍ من اللَّهَبِ المضطرمْ
تثور الشياطينُ من عطرها كجمرةِ الكاهن الملثمْ
إذا استافَها الرَّجُلُ العبقريُّ تحوَّل كالحيوان الوخِمْ
تصيحُ البلاهةُ من حوله فينظر كالصَّنَمِ المبتسم !

تابيس :

هى الشعرَ أولاكِ من مُلكه سماء الأُلوهةِ ذات البروجْ
ونصُّ المعانى على جانبيكِ فمنها السُّرى وإليكِ العروجْ
فما تصنعينَ إذا ما بُعِثْتِ واحدةً من بناتِ الزنوجْ !
ألم تسمعى قِصَّةَ الساحرىِّ وما صَنَع القومُ بعد الخروجْ ؟

* * *

نبا منطقُ الوحى عن سمعهم وخفَّ عليهِ رنينُ الطربْ
ومَدُّوا العيونَ إلى دُميةٍ تَمثَّلُ فى حيوانٍ تَجَبْ
ترامى بأحضانهِ غادةٌ أفادَ صباها شبوبَ اللَّهَبْ
جنونُ الحياةِ وأهواؤها أنوثتُها وبريقُ الذَّهَبْ ! !

* * *

فأينَ من القوم سحرُ البيانِ وصيحةُ موسى قَبيْلَ الوداعْ؟
هُمُ الناسُ لا يعشقون الخيالَ إذا لمْ يكنْ حافزاً للطِّباعْ
هُمُ الناسُ لا يعبدون الجمالَ إذا لم يكنْ نَهْزةً للمتاعْ
هُمُ الناسُ لا يألفونَ الحياةَ إذا لم تكنْ مَعْرِضاً للخداعْ !

سافو :

تماثيلُهُ بعضُ أجسامنا وقد صاغها العبقريُّ الصَّنَاع
ولوحاتُهُ صُوَرُ العارياتِ إذا مَزَّقَ الفنُّ عنها القناع
أبالشعر تُغوينَ هذا الفتى ؟ وَهِمْتِ إذنْ وجهلتِ الطباع !
أليستْ له سَبوةُ الآدميِّ وشهوةُ تلك الذئابِ الجياع ؟

بيتيس :

رجعتُ لنفسى فلا تغضبا وكُفَّا العتابَ ولا تسْهبا
لقد رُعْتمانى بهذا المزاحِ وأبدعتما نبأً مُغْرِبا
سَرَتْ بىَ من ذكرهِ رعدةٌ كأنى لبستُ به الغيهبا
أتابيسُ ما كنتُ بِنْتَ الزنوجِ ولا شِمْتُ أمّا بهم أو أبا ! !

تابيس :

وَصَمْتِ الخليقةَ فى بعثهم كأنهمُ الحدَثُ المنكرُ
وما أخطأ الطيفُ[1] ألوانَه ولكنَّه القبَسُ الأحمر
أبوهم كما زعموا آدمٌ وحواء أمُّهم المعْصِرُ
لهم أعينٌ تملأ الجمالَ وأفئدةٌ بالهوى تَشْعُرُ

* * *

لهم نارهم فى أقاصى الدُّجى وأبياتُهم فى أعالى الكهوفْ
ورقصٌ يُمثِّلُ قَلْبَ الحياةِ إذا ما استُخِفَّ بنقرِ الدفوفْ
ونايٌ يُقسِّمُ فيه الربيعُ ويسكبُ شجوَ الليالى الهتوفْ
وسحرُ الطبيعةِ فى عُرْيها إذا هَتَكَ الفجرُ عنها الشفوفْ

* * *

تفرَّدَ فنُّهُمُ بالخلود وصيغَ بفطرتهم واتَّسَمْ
يعيش جديداً بأرواحهم وإن عاش فيهم بروح القِدَمْ
له بأس « مانا[2] » وإيحاؤه إذا اضطربتْ رُوحُه بالألمْ
وَرِقَّة «هاواىَ[3]» فى شدْوها إذا جاشَ خاطرُها بالنَّغَمْ

* * *

ألا فليَكُنْ لكِ من فنهم سموُّ اللظى وعتوُّ الجبالْ
ألا فليَكُنْ لكِ من سحرهم فنونٌ تُعطِّلُ سحرَ الخيالْ
ألا فليَكُنْ لكِ من نارهم وشاحُ مُؤلَّهةٍ بالجمالْ
إلى الأرضِ فانتقمى للنساء وكونى بها مِحنةً للرجالْ ! !

على محمود طه

---

(١) الطيف الشمسى وهو مؤلف من الألوان السبعة المعروفة وأحدها اللون الأحمر

(٢) مانا أعظم آلهة التابو المسيطرة على قبائل الزنوج وخاصة فى جزائر الهند الغربية ومعروف بشدة انتقامه من الرجل الذى يمس عذراء التابو ، ومن مظاهر غضبه ثوران البراكين وحصول الزلازل الأرضية

(٣) من جزائر إميركا مشهورة بموسيقاها الفطرية التى تستبد بالعواطف